أثر السياق على بعض الأساليب القرآنية

م.م أسماء إبراهيم عباس

قسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة الأنبار

M.M

Asmaa Ibrahim Abbas

the department of Arabic language

Faculty of Arts, Anbar University

ملخص:

لكل كتاب أسلوب معين يسير فيه مؤلفه عليه من بدايته إلى نهايته، والقرآن الكريم كتاب جمع الكثير من الأساليب التي كانت – على كثرتها – دالة على إعجازه، وأنّه وحدة واحدة على الرغم من أنّه نزل منجماً على نحو ثلاث وعشرين سنة .

ولا شك أنّ معرفة الأساليب القرآنية من دعائم المنهج الذي يتعامل مع آي القرآن، وتعدد الأساليب القرآنية حقيقة واقعة أسبابها كثيرة جداً وقد عبر عنه بالتصريف القرآني وتصريف الآيات أن تأتي بها على أساليب مختلفة، وعلى صور متعددة كالاسمية والفعلية والمفردة القرآنية والتقديم والتأخير والحذف والذكر والاختصار والإطناب والفاصلة القرآنية وكل هذه الاساليب يؤثر فيها السياق القرآني، أو يمثل استثناء لقواعد الأساليب الأخرى.

ABSTRACT:

There is no doubt that the knowledge of Quranic methods is one of the pillars of the approach that deals with the Qur'an, and the multiplicity of Qur'anic methods is a reality. The reasons for this are many, many related to this book and this call and its continuation to the Day of Resurrection. It was expressed by the Qur'anic interpretation and the interpretation of the verses to come in different ways. And the Quranic and specific, and the introduction and delay and delete and mention and short and redundant and the Koran and all these methods affect the context of the Koran, or represents an exception to the rules of other .methods

الكلمات المفتاحية: السياق – الأسلوب – القرآن

تمهيد

الحمد لله على ما أنعم، وعلّم من البيان مالم نعلم، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد خير من نطق بالصواب، وأفضل أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار .

لكل كتاب أسلوب معين يسير فيه مؤلفه عليه من بدايته إلى نهايته، هذا إذا قصد إليه قصداً؛ لأنّ من المؤلفين من لا يقصد أسلوباً معيناً ولكن يستنبط هذا الأسلوب بعد انتشار الكتاب وشيوعه، ولا شك أنّ اتخاذ أسلوب معين خير من ترك الكتاب غفلاً من أي منهج؛ لأنّ المنهج البحثي والأسلوب العلمي أصبح مطلباً مهماً للإنتاج الفكري؛ لذلك تعددت المناهج البحثية وتطورت[1].

والقرآن الكريم كتاب جمع الكثير من الأساليب التي كانت – على كثرتها – دالة على إعجازه، وأنّه وحدة واحدة على الرغم من أنّه نزل منجماً على نحو ثلاث وعشرين سنة، وبفضل هذا الكتاب ظهرت الكثير من المناهج والأساليب البحثية؛ لأنه ليس من شك في أنّه بفضل القرآن الكريم وصفت أمة العرب بأنها من أكثر أمم الأرض تصنيفاً .

ولا شك أنّ معرفة الأساليب القرآنية من دعائم المنهج الذي يتعامل مع آي القرآن، أو من دعائم منهج التفسير؛ لأن العلم بالأساليب هو الذي يُفهم به أسلوب القرآن الرفيع، وللوصول إلى فهم مراد الله تعالى والاهتداء إليه بقدر الطاقة البشرية[2].

وتعدد الأساليب القرآنية حقيقة واقعة أسبابها كثيرة جداً تتعلق بهذا الكتاب وهذه الدعوة واستمرارها إلى يوم القيامة مما ليس محل تفصيله ههنا يقول تعالى:﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ- الأنعام ٤٦﴾ وتصريف الآيات أن تأتي بها على أساليب مختلفة، وعلى صور متعددة كالاسمية والفعلية والتقديم والتأخير والحذف والذكر والاختصار والإطناب، ويرى من ذلك أنّ علم التصريف القرآني مقصود لذاته لغايات متعددة، ومع ذلك فقد صدفوا عنه .

---

(١) ينظر منهج البحث في العلوم الإسلامية للدسوقي:٦٠

(٢) ينظر المرجع نفسه:١٩٢

الأسلوب كما هو معروف الطريق[١] وعرّفه عبد القاهر(٤٧٤هـ) بأنّه النوع من النظم والطريقة المتبعة فيه[٢] لذلك فله قواعد معروفة واضحة كالطريق الواضح المعالم، إلّا أنّ أسلوب التعبير القرآني يختلف عن بقية الأساليب كونه أسلوبين في أسلوب، أو بتعبير آخر أنّه أسلوب يمكن أن يُبحث فيه لذاته وفي الوقت نفسه هو أسلوب متداخل مع الأساليب الأخرى، وهو تداخل تأثيري ليس منفصلاً؛ ومن هنا تكمن أهميته وهذا جزء مهم من التصريف القرآني؛ لأنّ الكتاب الكريم لا يسير على وتيرة واحدة من أوله لآخره بما قد يشعرك بالملل أو توقع ما قد يحصل، بل تجده ينوع في الأساليب، ويفاجئك بما لا تتوقعه وهذا من أسراره، ولولا ذلك لما أصبح معجزاً قبل أربعة عشر قرناً، معجزاً الآن، معجزاً إلى يوم الدين .

لذلك يمكن القول إنّ السياق القرآني يؤثر كثيراً في الأساليب القرآنية، أو يمثل استثناء لقواعد الأساليب الأخرى، والسياق في اللغة هو التتابع والتقاود مأخوذ من تساوقت الإبل إذا تتابعت وتقاودت[٣] أمّا معنى السياق فهو ما تبينه نظرية السياق وتطبيقاتها في القرآن الكريم .

نظرية السياق:

المقصود من السياق هو منهج يتعرض للمعنى الاجمالي للتركيب شاملاً السابق أو اللاحق للكلام بما يمكن أن يشير إلى الدلالة[٤] ويغفل المعنى المفرد، فالمفردة اللغوية ليس لها معنى في نفسها بل باجتماعها مع غيرها؛ لأنّ الاتساق عموماً الاجتماع نُقل ذلك عن غير واحد من اللغويين[٥] وبتعبير آخر فإنّ المنهج السياقي معناه أنّ الوحدة اللغوية المفردة لا يمكن فهمها ولا الكشف عنها إلّا من خلال تسييقها[٦] أي من خلال اجتماعها مع الوحدات اللغوية الأخرى كي يعلم الدور

(١) ينظر القاموس المحيط:(س ل ب)

(٢) ينظر دلائل الإعجاز:٣٣٨

(٣) ينظر القاموس المحيط:(س و ق)

(٤) ينظر دلالة السياق ردة الله الطلحي أطروحة دكتوراه:٤٠

(٥) ينظر الإعجاز البياني للقرآن:٣٥٢

(٦) ينظر علم الدلالة:٦٨-٦٩ ودور الكلمة في اللغة:٥٤-٥٦

الذي تؤديه هذه الوحدة في نظم الكلام أو تركيبته اللغوية؛ ولأنّ الجملة أهم الوحدات اللغوية، ولا يوجد معنى منفصل للكلمة، وإنّما المعنى هو في الجملة والتركيب الذي يرد فيه[١] .

إنّ نظرية السياق شاعت نسبتها بين اللغويين إلى العالم اللغوي (فيرث) وأنّه زعيم هذا الاتجاه، وهو المنهج السياقي[٢] الذي يولي التركيب الأهمية البالغة، ويغفل معنى المفردة نفسها مثل كلمة (fly) ذبابة التي لا معنى لها في نفسها إلا باتساقها واجتماعها مع وحدات لغوية أخرى، وهذا لا يمكن تعميمه على لغتنا من هذه الناحية؛ لأن دلالة الألفاظ المفردة أمر واقع في اللغة والقرآن الكريم، وآية ذلك أنّ استقراء آيات الكتاب الحكيم يشهد استعمالاً لألفاظ القرآن في سياقها بدلالات معينة لا يؤديها لفظ آخر[٣] أي أنّ المعنى المعجمي للمفردة الواحدة واقع؛ لذلك نجد أنّ ألفاظ القرآن الكريم لا يمكن استبدال الواحدة مكان الأخرى؛ لأنّ معانيها في نفسها تؤثر في الآية وسياقها.

يمكن القول إنّ الدراسات اللغوية لعصور طويلة لم تتجاوز حدود الجملة في التحليل اللغوي فقد(اعتمدت الدراسات اللغوية منذ نشأتها في تناولها للغة على الجملة)[٤] لذلك جاءت نظرية السياق لتنقل الدراسة إلى الميدان الأوسع وهو النصّ بكامله؛ لأنّ نحو الجملة غير كاف لوصف تتابعات كبرى تجاوز حدود الجملة (بمفهومها الذي يتسم بالتباين والغموض حتى وقتنا الحاضر ففي النحو القديم تداخلت الجملة مع الكلام)[٥].

لقد نظر السياقيون إلى الوحدة اللغوية الأكبر وهي النصّ بكامله، بعد أن كانت البنيوية تنهج نهجاً مختلفاً وكان (سوسير) رائد الدراسات البنيوية قد نادى باستقلالية النظام اللغوي؛ فهو يجرد اللغة من واقعيتها وماديتها، ومع ذلك فقد كان له دور في قضية السياق حتى يمكن تلخيص كلامه على السياق بالقول إنّ(الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلّا بفضل مقابلتها لما هو

---

(١) ينظر شرح التلخيص:٢٧٠

(٢) ينظر علم الدلالة:٣٤

(٣) ينظر المرجع نفسه:٦٨-٦٩

(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي لعفيفي:١٧

(٥) ينظر المرجع نفسه:١٧

سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً)[1] وربما انهمكت البنيوية في النظر إلى الوحدات اللغوية الصغرى؛ فجاء ذلك على حساب النصّ والخطاب ودلالته، ثم جاء بعده اللغوي الأمريكي (بلومفيلد) وتمسك بهذا المبدأ ووضحه بل ونادى إلى إهمال المعنى حتى قال إنّ دراسة المعنى هي أضعف نقطة في الدراسة اللغوية[2] .

وعلى الرغم من أنّ نظرية السياق منسوبة إلى (فيرث) إلّا أنّ الدلائل تشير إلى سبق العرب غيرهم في النظرية السياقية وإن لم تكن بهذه التسمية، ومن ذلك أن (عبد القاهر) في نظرية النظم قد أشار إلى ذلك فقد أكد خلو التصور من (أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو)[3] وذكر في موضع آخر أنّ الوحدات اللغوية المفردة لم توضع لكي تكون لها معانٍ في أنفسها، ولكن لكي تتسق وتجتمع مع غيرها، وتتضام مع بعضها؛ ليخرج لنا التركيب الفوائد والمعاني[4] فالمفردات المعجمية تكتسب دلالتها من خلال انتظام الألفاظ في الجمل والتراكيب .

أمّا ابن جني (٣٩٢هـ) فقد ذكر شيئاً يمس مضمون هذه القضية إذ يقول:(تقول ضرب يحيى بشرى... من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو أكل يحيى كمثرى لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت)[5] ففي هذا الكلام إشارة واضحة إلى أهمية السياق اللغوي في معرفة المفعول من الفاعل عند خفاء الإعراب، وقد عبر عنه بالدلالة الاخرى من قبل المعنى، فالمعنى عنده هو السياق بل إنّ السياق هو الذي يحدد المعنى مما يجوز فيه التقديم والتأخير .

أمّا الزركشي(٧٩٤هـ) فقد كان أكثر وضوحاً في مضمون السياق والتركيب قال:(للتركيب معنى غير معنى الإفراد؛ ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد)[6] أي أنّ السياق يؤثر في المعاني فتختلف معاني الوحدات اللغوية

---

(١) دروس في الألسنية العامة:١٨٦

(٢) ينظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي رمضان عبد التواب:١٨٦

(٣) دلائل الإعجاز:٢٦٦

(٤) ينظر المصدر نفسه:٣٥٣

(٥) الخصائص:١/٣٥

(٦) البرهان في علوم القرآن:٤/٧٨

المفردة عن اتساقها مع غيرها، فالسياق يحدد بصورة دقيقة معنى المفردة اللغوية بتضامها مع الوحدات الاخرى.

ومن الدلائل الأخرى اعتماد علماء علوم القرآن والمفسرين في دراسة النص القرآني وفهم دلالته على جانبي السياق اللغوي الكلي، أو ما يسمى بسياق النص وسياق الموقف؛ إذ نظروا إلى الآية القرآنية أو مجموعة الآيات على أنها جزء من نص متكامل هو القرآن، ومعنى ذلك أنهم لا يعتمدون على السياق اللغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة، أو مجموعة الآيات المعزولة عن سياقها الكلي، ومن ذلك ما ذكره الغرناطي(٨٠٧هـ) في سبب تقديم صيغة (تَبِعَ) الثلاثي على (اتّبَعَ) المزيد في القرآن الكريم كلّه، أي في (البقرة) قبل (طه) وهو تقديم الأصل على الفرع[١] لأنّ الأصل عنده المجرد، والفرع هو المزيد، والرأي أنّه قدم ما لا كلفة فيه وآخر ما فيه التكلف؛ لأنّ المرء يتدرج من السهل غير ذي الكلفة إلى الصعب ذي الكلفة، وعادة فإنّ الأصل يأتي أولاً، ثم يأتي الفرع، وإن كان الفرع هنا يشمل الأصل وزيادة عليه.

فالنظر إلى الوحدة اللغوية الكبرى أمر واضح في القرآن الكريم، وهو ما حقق الوحدة العضوية بين آياته[٢] والدليل على ذلك أنك تجد سورة كبيرة منه بل هي أكبر سورة وهي البقرة متناسقة متماسكة عضوياً كأنها كتلة واحدة مع أنها نزلت مجزأة على مدار (٨) سنوات تقريباً، ولقد ألف فيه العرب قديماً وسموه علم المناسبة في القرآن الكريم[٣] وظهر في أوائل القرن الرابع الهجري؛ إذ كانوا يرون أنّ ورود هذه الآية إلى جانب تلك جاء لحكمة وسبب .

إنّ السمة التعبيرية للسياق القرآني واقعة في كثير من مفرداته، ومعلوم أنّ القرآن نزل بلغة العرب، يقول العز بن عبد السلام(٦٦٠هـ):(المختار في الصفات الواردة في القرآن أن تكون مناسبة لسياق ما قرنت به)[٤] كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ – المائدة٣٨﴾ **فإنّ وصف العزيز الحكيم مناسب لسياق الآية الدال على عقوبة**

(١) ينظر ملاك التأويل:١٩٤/١

(٢) ينظر التناسب في سورة البقرة رسالة ماجستير طارق مصطفى:١٦/٢

(٣) ينظر التناسب في سورة البقرة:١٥/٢ فما بعدها

(٤) فوائد في مشكل القرآن:١١٥

السرقة؛ لذلك يندر أن تجد قضية تعبيرية في القرآن لا يكون للسياق نصيب فيها، وسنذكر بعض قضايا التعبير والإعجاز القرآني وكيف قد أثر السياق فيها وهي كثيرة، فكل مبحث من المباحث اللغوية الإعجازية يمكن أن يرادفه مبحث السياق، كالسياق والأبنية والسياق والترتيب والسياق والتوكيد وغير ذلك.

السياق القرآني والأبنية

يقصد بالسياق القرآني المجرى الذي تسير فيه الآية بصورة عامة، وهو يشبه ساق الشجرة فهو الأصل وإن سرت معه وصلت إلى نهاية الشجرة، أمّا ما يتفرع من الساق كالأغصان والأوراق فهي وإن كانت جزءاً من الشجرة لكنك إذا سرت مع غصن ما فسوف يأخذك إلى خارج الشجرة، وهكذا هو السياق قال ابن منظور(٧١١هـ):(وساقُ الشجرةِ جِذْعُها، وَقِيلَ مَا بَيْنَ أَصلها إِلَى مُشَعّب أَفنانها)[١] وهو مأخوذ من الساق، وهذا السياق يؤثر في كثير من التعبيرات القرآنية.

كل بناء لفظي أو صيغة صرفية تعطي معنى تأتي في الأسلوب القرآني لغرض وغاية وموضوعة في مكانها، ولا يمكن إبدالها أو إبدال حرف من حروفها، فلا يمكن إبدال الاسم مكان الفعل والعكس، ولا الظرف مكان الجار والمجرور، ولا هذا البناء مكان البناء الآخر؛ لأنّ الكثير من أسرار الإعجاز القرآني في هذه الاستعمالات، والسياق يؤثر في تموضع هذا لبناء في هذا المكان، وعدم تموضعه، ومنه مثلاً استعمال جمع القلة وجمع الكثرة، كقوله تعالى:﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً – البقرة ٨٠﴾ فيما قال في آية أخرى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ – آل عمران ٢٤﴾ فقد استعمل في الأولى (معدودة) وفي الثانية (معدودات) ولاشك أنّ الأولى جمع كثرة، والثانية جمع قلة فالوصف بالمفرد بعد الجمع (أياماً معدودة) هو أقوى من الوصف بجمع المؤنث السالم (أياماً معدودات) فإن المعنى الأول للكثرة، والثاني للقلة فقد ذكر أنّ اليهود انقسموا فرقتين إحداهما قالت نعذب بالنار سبعة أيام وهو معنى القلة (معدودات) في آل عمران، وقالت الثانية نعذب أربعين يوماً وهي أيام عبادتهم العجل[٢] وهو معنى الكثرة (معدودة) في البقرة؛ وسبب

(١) لسان العرب:(س و ق)

(٢) ينظر جامع البيان:٢٧٤/٢و٢٩٢/٦ والتفسير الكبير:١٩٠/٧ وبحر العلوم:٢٢٨/١

ذلك سياق كل آية مختلف عن الأخرى، وهذا السياق هو الذي أثر في استعمال هذا بناء القلة أو بناء الكثرة.

لننظر إلى سياق الآية الأولى إذ يقول قبلها: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ – البقرة ٧٥– ٧٦﴾ **ثم قال بعدها:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ – البقرة ٧٩﴾ ثم قال:﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً – البقرة ٨٠﴾ **فأنت ترى هنا أنّ السياق هو سياق الذنوب الكبيرة الكثيرة؛ لمّا ذُكّروا بما فعلوه من آثام ففيه تيئيس من طمع الإيمان، وفيه سماع كلام الله ثم تحريفه من بعد العقل مع العلم، وفيه نفاق ظاهر إذا خلا بعضهم إلى بعض، ثم وعيد وويل لهم لكتابتهم الكتاب ثم تحريفه (فهم بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم)**[1].

أمّا سياق الآية الثانية فهو أقل منه في الذنوب؛ إذ يقول تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ – آل عمران ٢٣–٢٤﴾ **فأنت تجد هنا أنّ سياق الآثام والذنوب هنا أقل من سياق الآثام والذنوب في الآية الأولى، ولم يكن هنا تذكير بالأفعال والتوعّد بالحساب؛ لأنّ الآثام التي ذُكروا بها أقلّ**[2] **(ففرق كبير بين المقامين؛ فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل)**[3] **لذلك استعمل البناء الدال على الكثرة (معدودة) للسياق الدال على الكثرة فيما استعمل البناء الدال على القلة(معدودات) للسياق الدال على القلة.**

ومن ذلك آيتان لعب فيهما السياق دوراً كبيراً في استخدام الأبنية في كل آية، وهما في سورة الحج الأولى قوله تعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ

(١) التعبير القرآني:٤٢

(٢) ينظر المرجع نفسه:٤١

(٣) المرجع نفسه:٤٢

وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ – الحج ٣٤﴾ **وقال في آية أخرى:**﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ – الحج ٦٧﴾ .

في الآية الأولى قال (منسكاً) ثم قال:(ليذكروا اسم الله عليه) أما في الآية الثانية فقد قال:(منسكاً) أيضاً لكنه أتبعه بـ(هم ناسكوه) وسبب ذلك سياق كل آية؛ فالسياق في الآية الأولى هو سياق الحج وشعائره، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ – الحج ٢٥–٢٧﴾ **وهكذا يستمر السياق حتى ما بعد هذه الآية بثلاث آيات، وكلّه في سياق الحج فجعل النسك هنا هو الذبح لله تعالى وهو المصاحب للحج وأن يذكروا اسم الله عليه وأن يتقربوا إليه تعالى**[1] .

أما الآية الثانية فقال (منسَكاً هم ناسكوه) فالمقصود من (المنسَك) هو المصدر وهو على وزن (مَفْعَل) بالفتح ويأتي هذا الوزن (مصدراً ميمياً) للدلالة على المصدرية، ومعنى المصدر الأصل والأولية ويأتي اسم مكان لكنه أراد هنا المصدر؛ لأنه لو أراد الموضع أو اسم المكان لقال هم ناسكون فيه[2] **لأن (فيه) تفيد الظرفية للمواضع والأماكن لكنه أراد هنا المصدر، أي أصل النسك وليس نسكاً معيناً كنسك الذبح عند الحج كما في الآية السابقة.**

فالسياق هنا سياق عام فيه الكثير من ذكر الأقوام السابقة، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ – الحج ٥٢ ﴾ ثم قال:﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ

(١) ينظر الكشاف للزمخشري:١٥٧/٣

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٩٣/١٢

آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ – الحج ٥٤-٥٥﴾ .

وهكذا يستمر السياق العام في الأمم السابقة التي لا تخلو شرائعها من اتخاذ النسك لكنه ليس كنسك الحج المعهود عند المسلمين لكي يذكروا اسم الله عليه، بل هو أي نسك وآية ذلك ما (روي أنّ بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة)[1] وهكذا تجد أن السياق القرآني هو الذي حدد وجود هذا البناء، وعدم وجود الآخر، مع العلم أنّ السياق القرآني على أنواع، فمنه القريب ومنه البعيد ومنه المتقدم ومنه المتأخر وليس محل تفصيلها هنا .

السياق والمفردة القرآنية:

المقصود بالمفردات القرآنية هي الألفاظ ذات المعاني المختلفة التي قد تكون موجودة في آية، وغير موجودة في آية أخرى، أو موجودة بلفظ ثانٍ مقارب لما في الآية الأولى، ومن خلال الاستقراء وجد أنّ هذه المفردات تكتسب دلالتها من السياق القرآني (فقد تكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة؛ فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة)[2] .

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ – الرعد٣ ﴾ **ثم قال:** ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ – الرعد٤ ﴾ **تساءل الغرناطي (عن قوله في الأولى لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وفي الثانية لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ؟ وهل كان يصح ورود الأول مكان الثاني، والثاني مكان الأول؟)[3] وما تؤديه كل لفظة من معانٍ، ومناسبة كل منها لسياق الآية الوارد فيها؛ فذكر أنّ (معتبرات الآية الأولى من مدّ الأرض وما ذكر**

---

(١) الكشاف:١٦٩/٣

(٢) التعبير القرآني:٢٣٧

(٣) ملاك التاويل:٦٩٩/٢

بعد ذلك أوضح للاعتبار، ومعتبرات الثانية أغمض)[١] ثم فسر ذلك بأنّ معتبرات الآية الأولى من مد الأرض وجعل الرواسي والأنهار والثمرات وجعل الزوجين وغشي الليل النهار كل ذلك يتوصل إليه بالفكر؛ لأنّه يناسب ما هو أوضح وأجلى[٢] .

أمّا معتبرات الآية الثانية فهي أغمض وأخفى – حسب رأيه – (ألا ترى أنّ تجاور قطع الأرض وتقاربها في الصفات والهيئات من سهل وحزن، ثم تخرج أنواع الجنات... واختلاف الطعوم... وتفاوت الطيب والمنافع الحاصلة عن ذلك... وهذا مما تنقطع الأفكار، وتقصر العقول عن عجيب الصنع الرباني)[٣] فسياق الآية الاولى يقتضي التفكر، وسياق الثانية يقتضي العقل؛ فوضع لكل سياق ما يناسبه من لفظة .

وتأتي بعض المفردات القرآنية التي لها دلالات معجمية في آيات متقابلة بصورة دقيقة جداً؛ لأنّها منتظمة في سياق خاص يتألف مع معنى كل مفردة، أو ما اشتق منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ- الأنعام ١٥١﴾ **مقابل قوله تعالى:** ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ- الأنعام ١٥٢﴾ **وقوله تعالى:** ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ- الأنعام ١٥٣﴾ **فقد ختم الآية الاولى بتعقلون، والعقل هو (العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، والحق أنّه نور روحانية تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية)[٤] وختم الآية الثانية بتذكرون و(الذكر بالكسر والتذكار الحفظ للشيء... والتذكير الوعظ)[٥] أمّا الآية الثالثة فقد ختمها بتتقون و(اتقيت الشيء حذرته، والاسم التقوى وقوله عزوجل هو اهل التقوى أي أهل لأن يتقى عقابه)[٦].**

وسر هذا الاختلاف في خاتمة كل آية مع أنها في المعنى آية واحدة الإشارة إلى وصية الله لغرض وهو قوله (لعلكم تعقلون وتذكرون وتتقون) ومعلوم أنّ لعلّ هنا خرجت عن معناها الأصلي إلى المجازي؛ فهي لا تفيد الترجي بل تفيد السببية .

---

(١) المصدر نفسه:٢/٦٩٩

(٢) ينظر المصدر نفسه:٢/٦٩٩

(٣) ينظر ملاك التاويل:٢/٦٩٩

(٤) القاموس المحيط:(ع ق ل)

(٥) المصدر نفسه:(ذ ك ر)

(٦) المصدر نفسه:(و ق ى)

إنّ سر هذا الاختلاف في المفردات القرآنية ذات المعاني المتعددة هو انتظام كل منها في سياق خاص فلا يمكن والحالة هذه المساواة في التعبير؛ فسياق آية العقل هو اشتمالها (على ذكر خمسة أشياء كلها عظام جسام، وكانت الوصية فيها من أبلغ الوصايا فختم الآية الأولى بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان)[1] وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ- الأنعام ١٥١﴾.

أمّا الآية الثانية المختومة بالتذكر ففيها ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ- الأنعام ١٥٢﴾ **فسياق هذه الآية مشتمل (على خمسة أشياء يقبح تعاطيها وارتكابها، وكانت الوصية فيها تجري مجرى الزجر والوعظ؛ فختم الآية بقوله تذكرون أي تتعظون بمواعظ الله)[2] وهذه الوصايا واضحة في سياق الآية، وهي عدم قربان مال اليتيم والوفاء بالكيل والميزان والقول العدل والوفاء بعهد الله، ومما يناسب ذلك كله التذكر والموعظة .**

الآية الثالثة المختومة بالتقوى هي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ- الأنعام ١٥٣﴾ **فسياقها مشتمل (على ذكر الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه واجتناب منافيه؛ فختم الآية بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد)[3].**

السياق القرآني والترتيب

الترتيب هو التقديم والتأخير، وقد ذكره سيبويه(١٨٠هـ) وأنّ العرب تقدم الذي يكون بيانه أهم وأعنى[4] وهو من خصائص العربية، وقد ذكره ابن جني(٣٩٢هـ) مبيناً أنّ التقديم والتأخير من

(١) البرهان في متشابه القرآن الكرماني:١٧٩

(٢) المصدر نفسه:١٧٩

(٣) المصدر نفسه:١٧٩

(٤) ينظر الكتاب:١/٢٤

جوانب شجاعة العربية[1] ولأهميته جعل له (عبد القاهر) فصلاً سماه التقديم والتأخير[2] والأسباب التي من أجلها يقدم لفظ ويؤخر آخر كثيرة، ومنها السياق القرآني، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ – الأنعام ١٠٠ – ١٠٢﴾ **فهنا قدم (لا إله إلّا هو) على (خالق كل شيء) لأنّ السياق سياق توحيد كما هو واضح من جعلهم لله الشركاء، مع ملاحظة أنّه هنا قدم المفعول الثاني وهو (شركاء) على الأول وهو (الجن) وهو تقديم للاهتمام في قضية نفي الشراكة وإثبات التوحيد، ثم قوله وخرقوا له البنين والبنات أي افتعلوا، وكل ذلك بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون، ثم نفى أن يكون له ولد وهكذا (فقدم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه وتعاليه عن الشركاء والولد... فقدم الأهم)[3] فمجمل السياق في(الكلام على التوحيد ونفي الشرك والشركاء والصاحبة والولد)[4] لذلك فمن الطبيعي أن يقدم كلمة التوحيد (لا إله إلا هو) على كلمة الخلق (خالق كل شيء).**

أما الآية الأخرى التي عكس فيها التقديم والتأخير فقدم الربوبية (خالق كل شيء) على الألوهية (لا إله إلا الله) فهذا سياقها ويبدأ من قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ – غافر ٥٧﴾ **ثم قال تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ – غافر ٦٠﴾ **ثم قال عز وجل:** ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ *ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ – غافر ٦١– ٦٢﴾ **فهنا قدم (خالق كل شيء) على كلمة التوحيد (لا إله إلا هو) لأنّ السياق كما ترى يقول الكرماني (٥٠٥هـ) (فخرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي**

---

(١) ينظر الخصائص:٢/٣٦٠

(٢) ينظر دلائل الاعجاز:٩٦

(٣) ملاك التأويل:١/٤٦٨-٤٦٩

(٤) التعبير القرآني:٦٦

الشريك؛ فقدم في كل سورة ما يقتضيه ما قبله من الآيات)[1] (إذ المقام في غافر مقام تعدد وتذكر بنعم الله؛ فناسب ذلك تقديم خَالقُ كُلِّ شَيءٍ)[2] لذلك فمن المناسب تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد؛ ليناسب هذا التقديم السياق كما ناسب تقديم التوحيد على الخلق السياق في الآية التي قبلها (فوضع كل تعبير في موطنه اللائق حسب السياق)[3].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ – آل عمران ١٢٦﴾ **فيما قال في آية أخرى:** ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ – الأنفال ١٠﴾ **ففي الآية الأولى قدم القلوب وأخر الجار والمجرور (به) وفي الثانية قدم الجار والمجرور (به) وأخر(قلوبكم)[4] والمعنى الذي يشير إليه الجار والمجرور هو النصر والتمكين الإلهي؛ لأنّ سياقي الآيتين يتحدثان عن معركتين من أهم المعارك في التاريخ الإسلامي وهما معركة بدر ومعركة أحد.**

أمّا سر كل تعبير فهو أنّ سياق آل عمران سياق مسح على القلوب وطمأنتها مما أصابها في معركة أُحد[5] فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ – آل عمران ١٣٩ – ١٤٠﴾ **وغيرها من الآيات التي تشير إلى المصيبة التي أصابت المسلمين في تلك الواقعة، والتي كانت درساً بليغاً لهم بما فيه من ألم وجراحات؛ فكان طمأنة القلوب في هذا الموقف هي المقدمة على ما سواها فقال (لتطمئن قلوبكم) ثم ذكر الجار والمجرور (به) وهذا الجار والمجرور على هوانه في اللغة فهو كبير في المعنى بل فيه من المعاني الكبيرة كالحق والنصر والصبر وغيره مالا يعلمه إلا الله؛ لئلا يظن ظانّ أنّ تقديمه وتأخيره سيّان.**

---

(١) أسرار التكرار في القرآن الكرماني:٧٣

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني:١٥٨/٢

(٣) التعبير القرآني:٦٧

(٤) ينظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن الأنصاري:٩٦

(٥) ينظر التعبير القراني: ٧١

أمّا في سورة الأنفال فهو سياق ذكر موقعه بدر وانتصار المسلمين فيها، ذلك النصر الذي فتح الأبواب أمام الإسلام دين الله، ودور المدد الإلهي في هذا النصر الذي عبر عنه بالجار والمجرور (به) الذي يعود على هذا الإمداد[1] إذ يقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ – الأنفال ٩﴾ **ثم ذكر الآية، ثم قال بعد آية أخرى:** ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ – الأنفال ١٢﴾ **فالسياق هنا سياق نصر فكان من المناسب أن يقدمه فقد (قدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب؛ لاهتمامهم به، وشدة حاجتهم إليه، لأنه موضع رجائهم فالمقام هو الذي اقتضى تقديمه)[2] وهو المعبر عنه بالجار والمجرور؛ لأنه بهذا النصر تطمأن القلوب (والطّمأنينة السّكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النّفس بحصول الأمر تشبيها للعلم الثّابت بثبات النّفس أي عدم اضطرابه)[3] فقد كانت تخشى على هذا الدين، وإذا بها تنتصر على قريش أعظم قبيلة عربية؛ مما شكّل هذا النصر في بدر فتحاً كبيراً للإسلام والمسلمين، وهكذا كان للسياق أثر في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر .**

السياق والذكر والحذف

الأصل في اللغة ذكر الكلام وعدم حذفه؛ لأن هذا الذكر يدل على الإعلام بالشيء، ونقيضه الحذف وهو عدم الإعلام[4] ومع ذلك فإن الحذف أمر واقع في اللغة، وهو كذلك في القرآن الكريم إذ يأتي لأغراض بلاغية، ويختلف عن الاختصار أن هذا الأخير هو حصول المعاني الجمة باللفظ القليل من غير إسقاط الكلام أو جزئه كما هو حال الحذف[5] .

---

(١) ينظر المرجع نفسه:٧٢

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني:١٦٩/٢

(٣) التحرير والتنوير ابن عاشور:٧٨/٤

(٤) ينظر البلاغة العربية حبنكة الميداني:٣١٢/١

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن:١٠٢/٣

والحذف في اللغة يأتي بمعنى القطع والإسقاط والتقصير، وقد يأتي مع القول بمعنى الإيجاز[١] أمّا الجانب الاصطلاحي فالأمر متعلق بإسقاط الكلام أو جزئه، ويأتي لأسباب وفوائد، وله شروط فصلت فيه كتب البلاغة القرآنية[٢] وهو من الأساليب المهمة في لسان العرب حتى شبهه (عبد القاهر) بالسحر وأنّ حذف الألفاظ أحياناً أبلغ من ذكرها والنطق بها[٣] والقاعدة العامة في لغة العرب أنّ الحذف يجب أن يكون لدليل[٤] كي لا يقع المخاطب في الإيهام، ولعلّ من هذه الأدلة المعينة على وجود الحذف في الكلام السياق؛ فإنّه يؤثر على ذكر بعض الحروف والألفاظ وحذفها في بعض المواضع، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في المائدة:﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ – المائدة ٤٤﴾ **وقال في البقرة:**﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ – البقرة ١٤٩– ١٥٠﴾ في الآية الأولى من المائدة قال(واخشونِ) بحذف ياء المتكلم المعبر عن لفظ الجلالة وهو جائز، لكنه أظهرها في الآية الثانية من البقرة بقوله(واخشوني) بإثبات الياء العائدة عليه سبحانه وتعالى؛ وسبب ذلك سياق كل آية، والمجرى الذي تجري منه بما يتطلب الذكر في (البقرة) والحذف في (المائدة) فالسياق هنا في (نهي الحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم، وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل؛ لخشية سلطان ظالم أو خيفة أو أذية أحد من القرباء والأصدقاء)[٥] فضلاً عن سياق التوراة وحفظها كما هو واضح، أمّا سياق الإظهار في آية البقرة فهو هنا مطلوب؛ لأن السياق يستدعي تحذير المسلمين من خشية الناس وعدم الالتفات إلى أراجيفهم؛ لأنّ الموضوع**

---

(١) ينظر المصباح المنير:(ح ذ ف)

(٢) ينظر مثلاً البرهان في علوم القرآن:١٠٢/٣

(٣) ينظر دلائل الإعجاز:١٢١

(٤) ينظر المقاصد الشافية:٩١/٢

(٥) الكشاف:٦٣٧/١

هنا هو في تبديل القبلة، وقد أرجفت اليهود وأرجف المنافقون وأكثروا القول بسبب هذا التبديل في محاولة لإخافة المسلمين بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ – البقرة ١٤٢﴾ **وأنّه (ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً الى دين قومه وحباً لبلده)**[١] **وهكذا من هذه الأراجيف فاستدعى إبراز الضمير العائد عليه سبحانه، وأنه هو الأوْلى بالخشية؛ ولما في الإظهار من تطمين الجانب الخائف؛ فكأنّه تعالى يقول لهم إني معكم ظاهراً؛ وهذا مما يشعر الإنسان بالاطمئنان و(لإتمامي النعمة عليكم ... واخشوني لأوفقكم، ولأتم نعمتي عليكم)**[٢] **فإظهار الضمير لزيادة الاطمئنان في حالة الخوف وعدم الأمان كما قال تعالى لموسى وهارون:** ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى– طه ٤٦﴾ **أمّا سياق الآية الأخرى فليس فيها مثل ذلك، بل هي في سياق التوراة وحفظها، والموضوع واضح لا يتطلب الخشية والإظهار مثلما هو في الثانية.**

ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في الأعراف: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ – الأعراف ١٠١﴾ **وقال في يونس:** ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ– يونس ٧٤﴾ **فذكر في الآية الثانية الجار والمجرور (به) ولم يذكره في الآية الأولى.**

سبب ذلك هو السياق القرآني ففي الآية الأولى يقول تعالى قبله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ – الأعراف ٩٦﴾ **فيلاحظ أنّ التكذيب هنا مطلق غير مقيد بشيء؛ لذلك أطلقه في الآية الأولى بقوله (بما كذبوا من قبل) أمّا سياق يونس فقال فيه:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ– يونس ٧٣﴾ **فالتكذيب هنا مقيد بالآيات؛ لذلك زاد بعد الفعل الجار والمجرور**

(١) الكشاف: ١/٢٠٥

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٠٥

وقيده به وهو قوله:(بما كذبوا به من قبل) لأنّ التكذيب هناك كان بشيء مذكور(ولم يتقدم في الأعراف التكذيب متعدياً بالباء كقوله تعالى وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ فناسب كل موضع ما قبله)[1] فذكر الجار والمجرور(به) مناسبة للسياق الوارد فيه، وحذفه في الآيات الاخرى ذات السياق المطلق.

السياق والتوكيد

الكلام في لغة العرب لا يخلو من أن يكون مؤكداً أو غير مؤكد و(التوكيد تكرير وإحاطة، فالتكرير ضربان تكرير لفظ وتكرير معنى)[2] ولذلك قيل هو على أنواع منه لفظي ومنه معنوي ومنه بالحروف وغير ذلك مما ليس محل تفصيله ههنا، ولمجيء الجملة مؤكدة أسباب كثيرة لخصها أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) بقوله (الفائدة في التوكيد التحقيق، وإزالة التجوز في الكلام)[3] والذي يهمنا هنا سبب معين هو سبب السياق، فأحياناً يؤثر السياق القرآني في توكيد اللفظ والجملة أو عدم توكيدها، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في التنزيل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ – البقرة ١٩٣﴾ فيما أكد ذلك في الأنفال بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ– الأنفال ٣٩﴾ فهنا أكد الدين بـ(كلّه) وهو لفظ يفيد الإحاطة والعموم[4] لأنّ القتال في سورة البقرة مع أهل مكة حسب أما (في سورة الأنفال فالأمر ورد عاماً في قتال كلّ الكافرين)[5] فقيده بقوله:(كلّه) يشهد لهما السياق في كلتا الآيتين، ففي البقرة يقول تعالى قبله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ– البقرة ١٩١﴾ وأنت تلاحظ هنا أنّ الآية تتحدث عن أهل مكة، وكيف أخرجوا أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام من ديارهم، أمّا في سورة الأنفال فقال قبلها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ– الأنفال ٣٦﴾ ثم قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ

(١) كشف المعاني في متشابه المثاني:١٨٤

(٢) المقدمة الجزولية في النحو:٧٣

(٣) أسرار العربية:٢٠٨

(٤) ينظر الأصول في النحو:٢/٢١

(٥) درة التنزيل:١/٣٣٢

كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ- الأنفال ٣٨﴾ **فهي آيات في عموم الكافرين؛ فناسب أن يذكر(كلّه) هنا، ولا يذكره في موضع البقرة لاختلاف السياق.**

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ – المائدة ٧٣– ٧٤﴾ **وقال في آية أخرى:**﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ – البقرة ١٩٨– ١٩٩﴾ **والفرق بين الآيتين من جهة التوكيد وعدمه واضح؛ ففي الآية الأولى ختم بـ(والله غفور رحيم) والثانية ختم بـ(إنّ الله غفور رحيم) وسر توكيد الثانية وعدم توكيد الأولى هو سياق كل آية؛ فالسياق في الأولى الإشراك وعقيدة التثليث وعدم التوبة عن هذا القول و(هذا ذمّ من اللَّه عزَّ ذكره للنَّصارى والنَّصرانيّة الَّذين ضلّوا عن سبل السلام، واحتجاج منه لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم في فريتهم عليه بادّعائهم له ولداً... وكفرهم في ذلك تغطيتهم الحقّ في تركهم نفي الولد عن اللَّه جلَّ وعَزَّ، وادَّعائهم أنَّ المسيح هو اللَّه فريةً وكذباً عليه)**[1] **وهذا مما يتنافى مع توكيد المغفرة، والله تعالى يغفر كل ذنب إلا الإشراك به كما قرر ذلك في غير موضع من القرآن، أمّا السياق الثاني فهو في الحج وهذا سياق يتوافق تماماً مع المغفرة الكبيرة وتوكيدها؛ فمن وقف بعرفة وأيقن بإجابة الله تعالى فقد غفر له ذنبه وفي الحديث:(مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)**[2] **وهذا كلّه يوافق توكيد المغفرة والرحمة بقوله:(إنّ الله غفور رحيم).**

السياق وفواصل الآي:

من المعلوم أنّ الآيات القرآنية تنتهي بفواصل منسجمة موسيقياً مع التي قبلها؛ لتأثيرها في النفس و(الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي؛ لاجتماعهما في أنّ الفاصلة آخر الآية، كما أنّ القافية آخر البيت)[3] **ومنهم من يرى أنّها (تأخذ سمة الاستقلال بمعنى أنها تأتى بعد تمام معنى أو**

(١) جامع البيان: ١٠/١٤٦

(٢) صحيح البخاري: ٢/١٣٣

(٣) الحجة للقراء السبعة: ٤/١١٥

معانٍ رئيسة في الآية؛ فتكون هي بمثابة تعليق عليها، وتؤدي حينئذ وظيفة التعليل أو الإنكار أو التوكيد أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح)[1] فالفاصلة إذن له دور في اكتمال المعنى، وهي ليست أمراً شكلياً .

في قوله تعالى:﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ – الأعراف ١٢٢﴾**فالعالمين وهارون منسجمة موسيقياً، فيما قال في آية أخرى:**﴿طه*مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى– طه ١–٢﴾ **إلى قوله:**﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى طه–٧٠﴾ **لأنّ فواصل سورة (طه) منتهية بالألف فقط هو الذي يحدد اللفظ، بل إن السياق يلعب دوراً مهماً في ذلك[2] في أحيان كثيرة، وانظر إلى قوله تعالى:**﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ– إبراهيم ٣٤﴾ **ولو عدنا إلى فواصل الآيات التي قبلها لوجدنا التناسب الموسيقي والسياق المعنوي الدلالي؛ إذ يقول تعالى:**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ– إبراهيم ٢٨ – ٣٠﴾ **ثم قال بعده بآية:**﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ– إبراهيم ٣٢–٣٤﴾ **فأنت تجد أن السياق[3] هنا كله سياق كفران النعمة؛ إذ ساق الله تعالى تسخيره كل شيء لخدمة الإنسان، وعليه أن يشكر ذلك لكنه لم يفعل ومع هذا السياق المعنوي تجد أن الفواصل رائية (البوار– القرار– النار – الأنهار – النهار) فكان من المناسب أن يختم بما يناسب ذلك وهو (كفار) وقبله ظلوم، ولم يعكس الأمر بأن يقول:(كفار– ظلوم) لما ذكرنا من الأسباب؛ فقد راعى القرآن موقف الإنسان**

(١) الحجة للقراء السبعة:٤/١١٥

(٢) ينظر التعبير القرآني:٢٢٣

(٣) ينظر المرجع نفسه:٢٢٠

من نعم الله ظلماً وكفراً[1] وهكذا تجد أنّ السياق أحياناً يتحكم في نوع الفاصلة، وليس كما يبدو من أن الانسجام الموسيقي هو السبب بل إنه أحد الأسباب لا كلها .

(١) ينظر من بلاغة القرآن:٧١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أسرار التكرار في القرآن الكرماني(نحو٥٠٠هـ) تحقيق: عبد القادر أحمد عطا دار الاعتصام القاهرة مصر الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ).
- أسرار العربية أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) دار الأرقم بن أبي الأرقم الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م) .
- الأصول في النحو ابن السراج (٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة لبنان بيروت.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة بنت الشاطئ (١٤١٩هـ) دار المعارف الطبعة الثالثة .
- بحر العلوم السمرقندي (٣٧٣هـ) تحقيق: د. محمود مطرجي دار الفكر بيروت لبنان.
- البرهان في علوم القرآن الزركشي (٧٩٤هـ). تحقيق :مُحَمَّد ابي الفضل ابراهيم دار الجيل بيروت لبنان (١٩٨٨م) .
- البرهان في متشابه القرآن حمزة الكرماني (بعد٥٠٠هـ) تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله مطابع دار الوفاء المنصورة مصر الطبعة الأولى (١٩٩١م).
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل طريف وتليد حبنكة الميداني دار القلم دمشق سوريا الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى (١٩٩٦م) .
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر تونس (١٩٨٤هـ).
- التعبير القرآني الدكتور فاضل صالح السامرائي دار عمار عمان الأردن الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م) .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م).

- التناسب في سورة البقرة إعداد: الطالب طارق مصطفى مُحَمَّد حميدة إشراف :الدكتور حاتم جلال التميمي قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة عمادة الدراسات العليا جامعة القدس (١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م) .
- جامع البيان في تأويل القرآن ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ =٢٠٠٠م).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٧١هـ). دار الشام بيروت الطبعة الثانية .
- الحجة للقرّاء السبعة أبو علي الفارسيّ (٣٧٧هـ) تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي دار المأمون للتراث دمشق سوريا بيروت لبنان الطبعة الثانية (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م) .
- الخصائص ابن جني (٣٩٢هـ) تحقيق: مُحَمَّد علي النجار عالم الكتب بيروت لبنان .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني (١٤٢٩هـ) مكتبة وهبة الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م) .
- درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) دراسة وتحقيق: د. مُحَمَّد مصطفى آيدين جامعة أم القرى وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة السعودية الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م) .
- دروس في الألسنية العامة دي سوسير ترجمة صالح القرمادي ومُحَمَّد الشاوش الدار العربية للكتاب (١٩٨٥م) .
- دلالة السياق ردة الله الطلحي أطروحة دكتوراه المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى كلية اللغة العربية فرع اللغة (١٤١٨هـ).
- دلائل الإعجاز الجرجاني (٤٧٤هـ) تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر مطبعة المدني القاهرة مطبعة المدني جدة مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة (١٩٩٢م) .

- دور الكلمة في اللغة ستيفان أولمان ترجمة كمال مُحَمَّد بشر المطبعة العثمانية مكتبة الشباب مصر الطبعة الثالثة (١٩٧٢م) .
- شرح التلخيص البابرتي (٧٨٦هـ) تحقيق :د. مُحَمَّد مصطفى رمضان المنشاة العامة للنشر طرابلس ليبيا الطبعة الأولى (١٩٨٣م).
- علم الدلالة د. أحمد مختار عمر مكتبة دار العروبة الكويت الطبعة الأولى (١٩٨٢م).
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق: مُحَمَّد علي الصابوني دار القرآن الكريم، بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) .
- فوائد في مشكل القرآن العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ). تحقيق: د. سيد رضوان علي الندوي دار الشروق جدة المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م) .
- القاموس المحيط الفيروز آبادي (٨١٧هـ). دار الفكر بيروت لبنان .
- الكتاب سيبويه (١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون دار الجيل بيروت لبنان.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري (٥٣٨هـ). تحقيق: مصطفى حسين أحمد دار الكتاب العربي (١٩٤٧م) .
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني بن جماعة (٧٣٣هـ) تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف دار الوفاء المنصورة مصر الطبعة الأولى (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م)
- لسان العرب ابن منظور (٧١١هـ). دار صادر بيروت لبنان الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة مصر الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) .
- المصباح المنير الفيومي (٧٧٠هـ) مكتبة لبنان بيروت لبنان (١٩٨٧م) .
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية الشاطبي (٧٩٠هـ) معهد البحوث العلمية وإحياء التراث العربي جامعة أم القرى مكة المكرمة المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى (٢٠٠٧م).
- المقدمة الجزولية في النحو عيسى الجزولي (٦٠٧هـ) تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب مُحَمَّد راجعه: د حامد أحمد نيل ود فتحي مُحَمَّد أحمد جمعة مطبعة أم القرى السعودية .

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل الغرناطي (٧٠٨هـ) تحقيق: سعيد الفلاح دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٩٨٣م) .
- من بلاغة القرآن أحمد البدوي (١٣٨٤هـ) نهضه القاهرة مصر (٢٠٠٥هـ) .
- منهج البحث في العلوم الإسلامية د. مُحَمَّد الدسوقي دار الأوزاعي الطبعة الأولى (١٩٨٤م) .
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي أحمد عفيفي مكتبة زهراء الشرق القاهرة مصر الطبعة الأولى (٢٠٠١م).